ظاهرة الغموض في قصيدة –غواية الرحيل– للشاعر: شيخنا عمر الموريتاني

Phenomenon of ambiguity in the poem – Temptation of Departure – For the poet: Sheikhna Mauritanian

أ.م.د حازم فاضل محمد البارز [1]

Assist. Prof. Dr. HAZIM FADHIL MOHAMMED ALBARIZ

الخُلاصة

يتناول هذا البحث –ظاهرة الغموض– باعتبارها أحد الخصائص المميزة للتجربة الشعرية قديماً وحديثاً، حيث عبر عن ذاتية الإنسان وعن معاناته واغترابه ويعد من القضايا ذات الأبعاد المتعددة، وذلك لتعدد المحاور المتصلة به، فكانت الدراسة بعنوان: (ظاهرة الغموض في قصيدة غواية الرحيل) للشاعر شيخنا عمر الموريتاني، والتي تضمنت على تهميد وكان بعنوان: (حياة الشاعر وظاهرة الغموض– مدخل تعريفي)، ومن اربعة محاور فكان الأوّل بعنوان: (مستوى العنونة)، والثاني كان بعنوان: (الابهام والغموض في المستوى اللفظي)، والثالث كان بعنوان: (الابهام والغموض في المستوى التركيبي والدلالي) والرابع كان بعنوان (التظمينات الدينية والتراثية) ثم بعد ذلك انتهت الدراسة بخاتمة توصلت إلى أهم النتائج كانت القصيدة لها لذة ومتعة لدى المتلقي لما فيها من معاني قيمة يتم التوصل إليها من خلال إمعان النظر واعمال الفكر، وبهذا استطاع الشاعر التعبير عن قضيته ونقل المشاعر بشكل يواكب تطور هذه الظاهرة عن طريق الرمز

١– جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية.

بوصفهِ أداة في ايصال الفكرة عبر الاشارة والتلميح والايحاء باستعمال وسائل فنية متطورة لخلق صور حديثة مبتكرة. بعد ذلك قائمة بالمصادر والمراجع، وملخص باللغة العربية والإنكليزية.

الكلمات المفتاحية: الغموض، قصيدة غواية، الشاعر شيخنا عمر.

Abstract

This research studies phenomenon of ambiguity, as it is one of the distinguished properties for the poetry experience in ancient and nowadays. Where it expressed about selfness of man, his suffering and expatriation and alienation. And it is one of issues have multiple dimensions, for many themes are related to it. So the study was with title: (Phenomenon of ambiguity in the poem – Temptation of Departure) for the Mauritanian Sheikhna. Which included preamble with title: (biography of the poet & phenomenon of ambiguity – definition entry). It consisted of three themes, first one was with title: (Verbal and linguistic level), second one was with title: (Structural level), third one was with title: (Religion & inheritance implications). Then the study was completed with conclusion to reach to most important of results. Where the poem had deliciousness and interesting at the recipient for its inclusion of valuable meanings to be concluded through deep inspection and thinking. So the poet could to express about his case, to transfer feelings in a method to be developed in line with this phenomenon by symbol as it is a tool to convey thought over signal, allusion and suggestion or hint by use developed artful means to create invented modern images. Thereafter list of references, margins, abstract in Arabic and English

المقدمة

الحمدُ لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من يعلم وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهِ الأقوم وعلى لغتنا التي أعزها الله بالمصحف الأكرم سبحانه العلي الأعلم.

يتناول هذا البحث — ظاهرة الغموض– باعتباره أحد الخصائص المميزة للتجربة الشعرية قديماً وحديثاً، حيث عبر عن ذاتية الإنسان وعن معاناته واغترابه ويعد من القضايا ذات الأبعاد المتعددة، وذلك لتعدد المحاور المتصلة به، اذ تلعب التحولات السياسية والفكرية والثقافية والاجتماعية دوراً مهماً في ظهوره؛ لأنَّه يعد سمة جمالية يسمح لرصد عدد كبير من وجهات النظر المختلفة لدى المتلقي، لما فيه من تأمل ودراسة وتحري للوصول إلى المغزى المرجو، فعندما قرأت قصيدة —غواية الرحيل– بالصدفة على مواقع التواصل الاجتماعي انتابني فضول أنَّ أتفاعل مع النص والكشف عنه، فوجدته يعد أحد جوانب الحداثة التي رأى فيها الشاعر جماليات مختلفة بما يعبر عن رؤى فلسفية حاولت الانسجام مع كل ما هو جديد، فالشاعر في حاجة إلى عمق التجربة أكثر من حاجته إلى التفصيل، فكانت الدراسة بعنوان: (ظاهرة الغموض في قصيدة– غواية الرحيل)، للشاعر: شيخنا عمر الموريتاني والتي تضمنت هذه الدراسة من تمهيد والذي كان بعنوان: (حياة الشاعر وظاهرة الغموض– مدخل تعريفي)، وكان من اربعة محاور فكان الأوّل بعنوان: (مستوى العنونة)، والثاني كان بعنوان: (الابهام والغموض في المستوى اللفظي)، والثالث كان بعنوان: (الابهام

والغموض في المستوى التركيبي والدلالي)، والرابع كان بعنوان (التضمينات الدينية والتراثية)، ثم بعد ذلك انتهت الدراسة بخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع وملخص باللغة العربية والانكليزية.

قصيدة غَوَايَة الرّحيل

نُقُوشي علَى خَدَّيْ رَحيلكِ
في المَسْرَى
حُروفُ مَتاهاتِ الأفُوُلِ إذا
اسْتَشْرى
وَشُرْفَةُ أحْلاَمي تَوَلُّهُ
مُرْعَوِي
تَقُدُّ قَمِيصَ الأمْسِ قُبْلَتُه اليُسرى
جنانُكِ –ذاتَ الشَّمالِ– كانت مَجابةً
يَتيهُ بها الغاوُونَ في الشُّرفَةِ الأخرى
وكُنتُ على نوءِ المساءِ مُبَعْثَراً..
وكلُّ فَمٍ في التّيهِ يَحسبني قَطْرا
تَعَرَّى ذُهُولي كالنقوش... وَسامَرَتْ
كواكبُ أحلامي مَجَرَّتَكِ السَّكْرى
حَرَامٌ على زَهْوِ البَخور بمعطفٍ
يُرَمّلُ حُلمي أنَّ تضاجعه الذكرى
ولكن عُرْيِ القلب في سكرةِ الهوى
أباح لأعطاف المَجَرّة أنَّ تَعرى
جُرُوحي توَارَتْ خلف نايٍ وسَكْرَةٍ
يدورَانِ– مثل القلب– في فَلَك المَجْرى
أهَدهِد طفلَ الرّوحِ في مَهْد حُلمه
وأعصِرُ من كَرْم المَجَاز له خمرا
لأحمل للتّيهِ المسافِرِ في دمي
طريقاً من المنفى أقُمتُ بها عُمرا...
فسبحان من أسرى بعرش صبابتي..
وعَرّفَه عِطرا ونَكّرَه شِعرا
لأخصِفَ ما أزرَى بأخر بسمة
على سفةِ الإمعان من ورقِ الإسرا ().

التمهيد: حياة الشاعر وظاهرة الغموض– مدخل تعريفي:

حياة شيخنا عمر حيدار الموريتاني:

ولد في موريتانيا عام ١٩٨٨م، وبدأ مشواره الأدبي في عهد مبكر في كتابة القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة ليتمكن من أدواته الشعرية وخلال ٢٠٠٣م صدر له ديوانان هما: تراتيل في مآتم الصمت ودموع الضحك، وكتب عن قضايا الأمة العربية والإسلامية وكتب عن الحب، وقد حظيت تجاربه الشعرية باهتمام

وإشادات من نقاد وشعراء عرب، وقد حظي بعضوية أتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين وشارك في عدة مهرجانات أدبية ومسابقات شعرية من أهمها: شاعر الرسول، الذي كانت تعده التلفزة الموريتانية ٢٠٠٦-٢٠٠٧م ووصل آنذاك إلى المراحل النهائية، وعمل على أنَّ يكون شعره حاملاً لرسالة الإنسان العربي وقضاياه، وأن يكون ملامساً للواقع ومعبراً عن الوجدان بصورة حية تجلى فيها كشاعر يعشق الجمال ويقدسه، وقد تأثر بتجارب شعرية رائدة مثل: المتنبي ونزار قباني ومحمود درويش وأمل دنقل وغيرهم [٢]، هذا وقد شارك الشاعر في مسابقة أمير الشعراء وهذه المسابقة ما هي إلاّ محطة ثقافية عالمية هامة، ووصل إلى المراحل النهائية —المركز الرابع- [٣].

ظاهرة الغموض:

سُئل أبو تمام ذات يوم: يا أبا تمام، لم تقول ما لا يفهم؟ فأجاب سائله: وأنت لما لا تفهم ما يقال؟ ولم يكن أبو تمام ليريد أنَّ يحل المشكلة بقدر ما يريد أنَّ يتجنب السائل فيجيبه عن اتهام بإتهام وكأنه ممن يأخذون بمبدأ افضل اساليب الدفاع هو الهجوم، وكذلك أنَّ أجابته تلك هي اجابة نموذجية ما يزال الشعراء الجدد يرددونها على مسامع قرائهم كلما اشتكى هؤلاء القراء من غموض شعرهم، وأخطر من هذه الإجابة هو أنَّ الشعراء يرون أنفسهم على حق بمقدار ما يرى القراء أنفسهم على حق أيضاً، معنى هذا الخطر أنَّه لا بد أنَّ تحدث القطيعة بين الشاعر وجمهوره إذا لم يكن حدث فعلاً، فمن أين تنبع مشكلة الغموض إذن؟، وأي الطرفين على حق؟

وعلينا أنَّ نحدد من هو الشاعر؟ ومن هو الجمهور؟ وإلا فهل كل شاعر ينحو منحى غامضاً في شعرهِ هو على حق؟ ثم هل من حق القارئ- أنَّ يشكو من غموض هذا الشاعر أو ذاك ثم يكون على حق؟ وإذا كانت الإجابة عن السؤالين بالإيجاب، فنكون في فوضى لا أول لها ولا أخر، وبعضهم من يرى الغموض لازمة من لوازم الشعر من خلال:

١. إنَّ الغموض في الشعر خاصية في طبيعة (التفكير الشعري) وليس خاصية في طبيعة (التفسير الشعري)، وهي لذلك أشد ارتباطاً بجوهر الشعر وبأصولهِ التي نبت منها [٤].
٢. لا يمكن النظر الى الغموض أنَّه مجرد صفة سلبية، أي على أنَّه فشل من جانب الشاعر في الوصول إلى حالة الوضوح التام، وإنما هو صفة إيجابية، بل أكثر من هذا هو مجموعة كاملة من الصفات الإيجابية[٥].

٢- شيخنا عمر- انتشل الشعر العربي من وحل النسيان، محمد الحمامصي، St. online. Com, Google.
٣- شيخنا عمر- رائد موريتانيا إلى إمارة الشعر، إذاعة موريتانيا، Radiomauritanie, mr, Google.
٤- يُنظُر: الشعر العربي المعاصر- قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين إسماعيل، ١٨٧.
٥- يُنظُر: الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال، ٢/ ٣٤٩.

٣. لم يكن الغموض متفرداً بالشعر الجديد فقط، وإنما هو خاصية مشتركة بين القديم والجديد على السواء، وكل ما في الأمر هو أنَّ الغموض قد صار ظاهرة واضحة في الشعر الجديد تدعونا إلى التأمل [٦].

٤. الشاعر في حاجة إلى عمق التجربة أكثر من حاجته إلى التفصيل وكلما قلّت التفصيلات، زاد تأثير الحالة الشعرية [٧].

وبهذا ينبغي أنَّ يشترط في القارئ الموهبة والقدرة والجدية، وفي بعض الأحيان رؤية الشاعر نفسها غامضة لم تختمر في نفسهِ بما فيه الكفاية، بينما يظن الشاعر انها اختمرت، وإنه قادر على أنَّ ينقلها فينقلها باضطراب ومن المحاور التي انمازت بها هذه القصيدة هي:

المحور الأوّل: مستوى العنونة:

غواية الرحيل توحي إلى هاجس الرحيل الذي كان عند الشعراء القدماء من خلال وصف الناقة وغيرها، فغوى: يغوي أي: أمعن في الضلال، وفساد، وضياع، وانقاد للهوى، وكأنما كثرة الرحيل فيه غوايات [٨].

وعمل الشاعر أنَّ يكون شعره حاملاً رسالة الإنسان العربي وقضاياه وأن يكون ملامساً للواقع ومعبراً عن وجدانهِ بصورة حية يتجلى فيها كشاعر يعشق الجمال ويقدسه، وينطلق الشاعر في عوالمهِ التخييلية متكئاً على الجرح العربي الذي يفرض عليه نفسه كلما أراد أنَّ يفكر بغيره، ويكتب بصدق عن مشاعر الإنسان الذي بداخلهِ، والذي يتقمص كل تجليات البشر في صدق مع الذات.

المحور الثاني: الابهام والغموض في المستوى اللفظي:

إنَّ لغة الشعر لغة تتجسم في الوجود وتتحد به، والقدرة على خلق مثل هذه اللُّغةِ تتفاوت بين الشعراء ولا يتكون مصطلحه الشعري إلاّ بعد كثير من المعاناة والمثابرة، واللغة في شعر الشعراء الجدد مادة اكتسبت طرافة وجدة وربما كان لهم دلالات جديدة لألفاظ قديمة، فقد توسعوا في المجازات والاستعارات، وهذه اللُّغةِ مصفاة ومركزة، فلا تسمح للشاعر باستعمال اللفظ إلاَّ أنَّ يكون حاملاً أكبر طاقة من الفعالية في السياق، أمَّا الألفاظ التي تأتي حشواً وقوالب التعبير التي تأتي إسعافاً فلم يعد لها مكان في هذه اللُّغةِ [٩]، كقول الشاعر:

نُقُوشي علَى خَدَّيْ رَحيلكِ
في المَسْرَى
حُروفُ مَتاهاتِ الأفُوُلِ إذا
اسْتَشْرى

٦- يُنظُر: الأسس الجمالية في النَّقدُ العربي، د. عز الدين إسماعيل، ٣٥٣.
٧- يُنظُر: المصدرُ نَفسَهُ، ص ٣٥٤.
٨- يُنظُر: المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، مادة –غوى–.
٩- يُنظُر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ١٤٨.

وَشُرْفَةُ أحْلاَمي تَوَلُّهُ
مُرْعَوِي
تَقُدُّ قَمِيصَ الأمْسِ قُبْلَتُه اليُسرى
تَعَرَّى ذُهُولي كالنقوش... وَسامَرَتْ
كواكبُ أحلامي مَجَرَّتَكِ السَّكْرى
حَرَامٌ على زَهْوِ البَخور بمعطفٍ
يُزَمِّلُ حُلمي أنَّ تضاجعه الذكرى
أهَدهِد طفلَ الرّوحِ في مَهْد حُلمه
وأعصِرُ من كَرْم المَجَاز له خمرا
لأخصِفَ ما أزرَى بأخر بسمة
على سفةِ الإمعان من ورقِ الإسرا

ففي النص وجدت ظاهرة الغموض من خلال الألفاظ: (نقوشي، خدي، متاهات، الأفول، مرعوي، تعرّى، ذهولي، مجرتك، السكرى، البخور، يزمل، تضاجعه، أهدهد، المجاز، أخصف، أزرى، شفة، ورق...)، فهذه الألفاظ قد أعطت بعداً خيالياً بحجم المأساة الضخمة، التي تتسع وتتسع حتى تضيق آفاق النجاة أمام الشاعر، وقد أعطت هذه الألفاظ حجم إحساس الشاعر بعمق المأساة، ومدى شعوره بمرارتها على الرغم من غموضها.

فالقصيدة هي حكاية إنسان مستسلم للواقع المرير نتيجة المنفى والغربة، ينسجها الشاعر عبر هذه الألفاظ الآنفة الذكر، مستعرضاً عبر هذه الألفاظ ومدلولاتها ألوان الغربة والقهر والألم والرحيل التي يعاني منها المواطن العربي.

فإن كانت اللُّغةِ: (عنصراً من عناصر الشعر المهمة، فلا بد للشاعر أنَّ يسلك فيها مسلكاً خاصاً ليستطيع فيها أنَّ يؤدي المعاني بطريقة تختلف عنها في ما عدا الشعر من فنون القول)[١٠].

اذ تكمن أهميتها أنَّها تنقل الأثر من المبدع إلى المتلقي عبر: (أداة الشعر الألفاظ أو الأصوات وهي السبب في كون الصور الموحَى بها عند القرّاء تختلف من قارئ إلى آخر، لأنها لا تنقل الأشياء نقلاً حرفياً طبق الأصل وإنّما هي إيحاءات تتأثر فيها مخيلتنا)[١١].

اما تطور القصيدة فلا بد أنَّ يكون متساوقاً مع متغيرين لا مناص له إنَّ أراد لأي شاعر من قصديته أنَّ تفهم: الأوّل: تطور ذاته من الداخل والقدرة على أنَّ يخرج من قوقعتها حتى يشارك الآخر في رؤية الحقيقة ومن ثم القدرة على تصويرها إليه، والشاعر كلما ازداد نضجاً ازدادت قدرته على الخروج من إطار مشاعره الذاتية إلى الإطار الموضوعي [١٢].

١٠- يُنظُر: لغة الشعر، إبراهيم السامرائي، ١٩.
١١- يُنظُر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ١٩٤.
١٢- يُنظُر: المصدرُ نَفسَهُ، ص ٢٨٢.

والثاني: تطور القارئ أو المتلقي فرداً كان أو جمهوراً على فهم الشعر أو تذوقه وهذا لا يحدث إلاَّ إذا تطور مجتمعه تطوراً يتناسب وثقافة الشاعر حتى يتمكن من أنْ يفهم ما يقال وإلا يصبح الغموض رياحاً شديدة هبوبها فتقلع برسالة الشاعر (القصيدة) بعيداً عن أذن المتلقي، فإن سمع شيئاً فإن سماعه يكون صوتاً لا معنى لألفاظه إن أراد لشعرهِ أنَّ يكون ذا قيمة تؤثر في الآخر (المتلقي) وبالتالي يكون الشاعر فوق متلقيه لغة أو تضميناً لأسطورة أو إيحاءًا يرمز مما يخلق حالة من الغموض تنأى بالنص الشعري عن الجمهور [١٣].

المحور الثالث: الابهام والغموض في المستوى التركيبي والدلالي:

هناك من يفرق في البنية الشعرية للقصيدة بين الإبهام والغموض، فالإبهام صفة نحوية أساساً أي ترتبط بالنحو وتركيب الجملة، في حين أنَّ الغموض صفة خيالية تنشأ قبل مرحلة التعبير المنطقية، أي قبل الصياغة اللغوية النحوية... [١٤].

حَرَامٌ على زَهْوِ البَخور بمعطفٍ
يُزَمّلُ حُلمي أنَّ تضاجعه الذكرى
ولكن عُرْي القلب في سكرةِ الهوى
أباح لأعطاف المَجَرّة أنَّ تَعرى
جُرُوحي ثَوَارَتْ خلف نايٍ وسَكْرَةٍ
تدورَانِ– مثل القلب– في فَلَك المَجْرى
أهَدهِد طفلَ الرّوح في مَهْد حُلمه
وأعصِرُ من كَرْم المَجَاز له خمرا
لأحمل للتّيهِ المسافِر في دمي
طريقاً من المنفى أقْمتُ بها عُمرا...
فسبحان من أسرى بعرشِ صبابتي..
وعَرّفَه عِطرا ونَكّرَه شِعرا
لأخصِفَ ما أزرَى بأخر بسمة
على سفةِ الإمعان من ورقِ الإسرى.

يتضح للباحث أنَّ ظاهرة الغموض على مستوى البناء في هذا النص يمثل أبعاد تجربة الشاعر، وكشف عن مشاعره الدفينة، اذ أشار إلى أهم الهواجس التي تنتابه: (حرام على زهو البخور بمعطف، ولكن عري القلب في سكرة الهوى، أباح لأعطاف المجرة أنَّ تعرى، جروحي توارت خلف ناي وسكرة..)، وقد كان ذلك كله بطريقة الجمل المبهمة، اذ وضع بين أيدينا مفتاحاً للفكرة المتسلطة على الشاعر، (وهو أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر، فيضيئها بحيث نطلع عليها ونتأمل بها)[١٥].

١٣- يُنظُر: المصدرُ نَفسَهُ، ص ٢٨١.
١٤- الشعر العربي المعاصر، د. عز الدين اسماعيل، ١٨٩.
١٥- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ٢٤٣.

ونجد كذلك: (أهدهد طفل الروح في مهد حلمه، وأعصر من كرم المجاز له خمرا، لأخصف ما أزرى بآخر نسمة، على شفة الإمعان من ورق الإسرا)، من ذلك لجأ الشاعر إلى الغموض ليمنح النص بعض التعقيد ويصعد بشكل تدريجي ذروى المفاجأة التي يكتمل بها المعنى، وعلى الرغم أنَّ المقاطع تحمل سمات التكامل نفسها، فإننا نشعر بروح القصيدة المتكاملة في ترابطها معاً، لكن رغم ذلك توجد نزعة سلبية، حيث تكون مشاعر الشاعر هنا متضاربة فيحاول أنَّ يبتكر صوراً شعرية وهذا الابتكار لا ينمو ولا يتنامى، فالشاعر كان يترنم أكثر من كونهِ يتألم، وكأنّه تحدث عن الزواج لكن أي نوع من الزواج؟

(يُزَمّلُ حُلمي أنَّ تضاجعه الذكرى)، فالحلم لا يضاجع فقد ابتعد قليلاً عن المغزى المرجو، لكن يبقى الشاعر حر في التصرف لمملكتهِ لكن لا أعلم، هل يلغى القارئ أو المتلقي كونه طرفاً في العملية الشعرية، ويُنظر إلى الشاعر، كما لو أنَّه كاهن يعنى بطقوسهِ السرية وحده دون أنَّ يهتم بالآخرين أو يعنى بهم.

وهؤلاء القراء يجدون في الشعر راحة ولا يجدون ذلك: (لا يستخدم اللفظ المعتاد بدلالته المحددة التي نتعلمها، أو لا يستخدم اللفظ بدلالته التي نقصدها حين نستخدمه في حياتنا اليومية، ثم إنه لا يفسر لنا الأشياء تفسيراً منطقياً يقبله العقل، ومن ثم فإننا نصف الشاعر بأنه غامض والحقيقة أننا لا نحكم عليه الحكم إلاّ لأننا منطقيون، ولأننا اعتدنا أنَّ نتعامل باللغة في وضوح)[١٦]، وهذا ما يضع الغموض حسب زعم القارئ لأنَّه يريد من الشعر الوضوح ومن اللُّغةِ الدلالة المباشرة، فإن حدث ما يخالف هذا الصنيع كان التلقي متعثراً؛ (لأنَّ الشاعر يدرك الأشياء إدراكاً أبعد مدى مما نصنع وهو لذلك لا يجد في لغتنا الناجزة من الألفاظ وصور التعبير ما يشرح به هذا الإدراك في دقة واتقان)[١٧].

(ومتعة الكتابة تظل غير مكتملة إذا عجز القارئ عن فهم النص والتفاعل معه واكتشاف مغزاه)[١٨].

وبناء النص الشعري على مستوى الغموض قد يخلق إرباكاً في ذهن القارئ، فلا بد من إشراك القارئ بفهم النص الشعري واكتشاف جماليتهِ بنفسهِ، ولا يقصد بالقارئ العادي؛ لأنَّه لا يمتلك أدوات التحليل، فإن امتلكها فإن ما يتوصل إليه قد يختلف عمّا وصل إليه القارئ الآخر وبذلك يتفاوت الفهم.

فإذا أضفنا إلى ذلك لغة الشاعر التي تجد في المجازات اللغوية والاستعارات البلاغية ملاذاً آمناً يقيها من غياب الصورة الشعرية التي تساعد المتلقي على الفهم كان الغموض يلف المتلقي، وقد يخلق الشاعر دلالات جديدة للألفاظ بزعم تفجير اللُّغةِ أو التعبير عن اللاوعي عن طريق التداعي، يكون المتلقي عند ذاك قد

١٦- الشعر العربي المعاصر، د. عز الدين اسماعيل، ١٩٢.
١٧- الشعر العربي المعاصر، د. عز الدين اسماعيل، ١٩٨.
١٨- المصدرُ نَفسَهُ، ص ٢٠٤.

انغلقت أمامه أبواب الفهم وعذر الشاعر في ذلك تصوير تجربته عن طريق الإيحاء أو الرمز الذي لا يعرف المتلقي بعضها فيكون المقروء طلاسم تحتاج إلى مفك يترجم المقصود [١٩].

وإذا وجدنا في تعدد التفاسير للنص الواحد إساءة في التفسير ينتج عن الغموض في النص الشعري، فبعضهم يرى: (إنَّ أي تفسير هو صحيح كالآخر)[٢٠].

والقارئ يقرأ النص ولكن لما كان القارئ نفسه كائناً غير مستقر وأنه سلسلة من السياقات والأهداف التي تتغير بين لحظة وأخرى فيعد ذلك النص ذاته غموضاً لا يمكن تحديده [٢١]، مثل: (ولكن عري القلب في سكرة الهوى....).

المحور الرابع: التضمينات الدينية والتراثية:

هو أنَّ يضمن الشاعر شعره معانٍ من القُرآن الكَرِيم أو الحديث الشريف أو الأمثال الشعبية والتراث لا على أنَّه منهم اقتداء بهم واتعاظ، والموسيقى الفكرية ليست موسيقى صوتية، بل إحساس بإصداء غير مسموعة تتردد في النفس، تشبه في تأثيرها الأصوات الموسيقية المسموعة، أو إصداءها، كقول الشاعر:

وَشُرْفَةُ أحْلاَمي تَوَلَّهُ
مُرْعَوِي
تَقُدُّ قَمِيصَ الأمْسِ قُبْلَتُه اليُسرى

اذ ورد التضمين الديني في البيت في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٢٢]، فأصبحت الأحلام التي يعشقها من الماضي ومزقت من الدبر ظلماً وجوراً وقهراً، كقميص يوسف (عليه السلام).

ويقول أيضاً:

جنانُكِ –ذاتَ الشَّملِ– كانت مَجابةً
يَتيهُ بها الغاوُونَ في الشُّرفَةِ الأخرى

نجد التضمين الديني في هذا البيت من خلال قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ [٢٣]، فأصحاب الشمال هم أصحاب النار المشؤومة التي جرت عليهم ويلات في الآخرة لا مفر منها، فلا سبيل لتوبة ولا طريق لعودة فقديماً يتشاءمون من ذات الشمال، فقصد الشاعر ما خفي من القلب لأصحاب القلوب الميتة، فكانت مجابة فاصحاب الشمال حاولوا الوصول إلى هذه القلوب والدعوة لها،

١٩– يُنظُر: شعرية الحداثة، عبد العزيز إبراهيم، ١٤٠– ١٤٩.
٢٠– النَّقدُ والنظرية النقدية، جرمي هوثورن، ٣٨.
٢١– النَّقدُ والنظرية النقدية، جرمي هوثورن، ١٢١.
٢٢– سورة يوسف، ٢٥.
٢٣– سورة الواقعة، ٤١.

لكن رغم ذلك لم يصلوا حتى الغاوون منهم الشرفة الأخرى، كقوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[٢٤]، هنا في الآية لم يخصص بعض الغواة بل عمومهم، والشاعر قصد ذلك أيضاً ويقول أيضاً:

أهَدهِد طفلَ الرّوح في مَهْد حُلمه
وأعصِرُ من كَرْم المَجَاز له خَمْرا

نجد التضمين الديني في هذا البيت من خلال قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا.....﴾ [٢٥]،اذ ذكر الشاعر في النص الشعري واعصر خمراً وكأنما جعل ذكريات الطفولة التي ذهبت كالحلم فحلم الطفولة كالخمر الذي يعصر.

ولغموض هذا البيت قد يكون ويتأمل بالحركة المنتظمة لهذه الأجيال القادمة المتمثلة بالطفولة لا يوجد لهم مستقبل في الحياة، وعليه يكون الخمر هو الملاذ للتخلص من هذه الأوهام نتيجة لما سيعانونه من ظلم واضطهاد في المستقبل.

ويقول أيضاً:

فسبحان من أسرى بعرش صبابتي..
وعَرّفَه عِطرا ونَكّرَه شِعرا

نجد التضمين الديني في هذا البيت من خلال قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى.....﴾ [٢٦].

فكلمة (سبحانه) هي لله تبارك وتعالى معناها: التنزيه من كل عيب وما لا يليق به وقد استطاع الشاعر الربط بين هذه الربطة وبين ما دار في خلده من معاناة فالطولة قد ذهبت، وكأنها لم تأتِ، فكل طفل لم يعش حياة الطفولة، لما يتحمل من عناء ومصاعب ومتاعب في هذه الحياة.

أمَّا التضمين التراثي فنجده بقوله:

تَعَرَّى ذُهُولي كالنقوش... وَسامَرَتْ
كواكبُ أحلامي مَجَرَّتَكِ السَّكْرى

نجد ذلك من خلال كلمة (نقوش، مجرتك)، فالنقوس: هو علم دراسة النقوش والكتابات القديمة تقدم لعلماء الآثار والتاريخ دليلاً موثقاً يمكنهم فهم المعتقدات والأفكار التي توصلت إليها أقوام عاشت قبل آلاف السنين، فتكون هذه النقوش على الحجر أو المعدن والمحفورة على الفخار، ويعود تاريخ النقوش إلى أول اختراع الكتابة [٢٧].

٢٤- سورة الشعراء، ٢٢٤.
٢٥- سورة يوسف، ٣٦.
٢٦- سورة الإسراء، ١.
٢٧- يُنظَر: العرب في العصور القديمة، لطفي عبد الوهاب، ١٢٤.

أمَّا المجرة: هي تَّجمعات هائلة الحجم تحتوي على مليارات النجوم والكواكب والأقمار والكويكبات والنيازك، وتحتوي كذلك على غبار كوني ومادة مظلمة، وبقايا نجمية، وتتخللها مجالات مغناطسية مروعة، وكلمة مجرة مستقاة من الجذر اللغوي –مجر– وتعني –كثير الدهم– [٢٨].

ويقول أيضاً:

وَشُرْفَةُ أحْلاَمي تَوَلَّهُ
مُرْعَوِي
تَقُدُّ قَمِيصَ الأمْسِ قُبْلَتُه اليُسرى
جنانُكِ –ذاتَ الشَّمل– كانت مَجابةً
يَتيهُ بها الغاوُونَ في الشُّرفَةِ الأخرى

نجد التضمين التراثي من خلال: (الشرفة) والمقصود بها: هي بناء خارج واجهة البيت، ويشرف على ما حولها شرفة المنزل، وقد يكون بناء مزخرف في أعلى برج أو قلعة [٢٩].

ويقول:

حَرَامٌ على زَهْوِ البَخور بمعطفٍ
يُزَمّلُ حُلمي أنَّ تضاجعه الذكرى

نجد التضمين التراثي من خلال: (البخور، تضاجعه)، والمقصود بالبخور هو ما يتبخر به من عود ونحوه، ويعطي رائحة طيبة عند إحراقه، وهو نبات موجود قديماً، وقد بعضه يكون ساقه دقيقة وأصله صلب أسود وزهره أبيض، وهو نبات عشبي معصر ينبت في أوربا وغربي آسيا وشمالي أفريقية وفي المناطق الجبلية في أواسط أوربا وجنوبها [٣٠].

أمَّا (تضاجعه) فهي المضاجعة أو الجماع أو الوطء أو المواقعة، وهو العملية الجنسية والتي تقوم من أجل المتعة الجنسية أو للتكاثر أو كليهما [٣١].

وعلى ضوء التضمينات الدينية والتراثية والشعبية في قصيدة الشاعر شيخنا عمر الموريتاني والإشارة إلى طبيعة هذه الرموز وتوظيفها في قصيدته، لكن التوظيف ليس بطريقة مباشرة وإنما بطريقة غامضة يحتاج المتلقي إلى التدبر والتفكر والتأمل حتى يصل إلى المغزى المرجو....

الخاتمة:

بعد أنَّ تمت بعون الله وفضله هذه الدراسة والتي كانت غايتها: (ظاهرة الغموض في قصيدة– غواية الرحيل)، ظهرت جملة من النتائج:

٢٨– يُنظُر: اصطياد غبار النجوم، ناتالي ستاركي، ٣٣.
٢٩– يُنظُر: المعجم الوسيط، إبراهيم إنيس وآخرون، مادة (شرفة).
٣٠– يُنظُر: المعجم الوسيط، ابراهيم أنيس وآخرون، مادة (بخور).
٣١– يُنظُر: فن النكاح، السيوطي، ١٦٤.

أسهمت –ظاهرة الغموض –في وجودها لمجموعة من الشروط، لما فيها من سمة شعرية جعلتها تدافع عن نفسها بمبررات تركن إلى فهم ومعرفة متعمقة بذاتها وعلاقاتها، ولفهم هذه الظاهرة فلا بد من معرفة آليات أشتغالها، ولهذا أهتم بها النقاد بالبحث والتحري عن أسباب هذه الظاهرة، فبعضهم من يرى أسباب متعلقة بالقارئ، لأنَّه لم يعمل على رفع مستواه لمستوى النص، والأخرى بالقصيدة نفسها، وأخرى بالشاعر ومذهبه الفكري نتيجة لما يعبر عن الواقع وإيصال الرسالة الشعرية التي يرغب به يصل إلى حد المبالغة في ذلك.

فالغموض منح القصيدة لذة ومتعة لدى المتلقي لما فيها من معاني قيمة وقد كان ذلك واضحاً لمن يمعن النظر وما وردت من فكرة، وبهذا استطاع شيخنا عمر الموريتاني التعبير عن قضيته ونقل المشاعر بشكل يواكب تطور هذه الظاهرة عن طريق الرمز بوصفهِ أداة في إيصال الفكرة عبر الإشارة والتلميح والإيحاء باستعمال وسائل فنية متطورة لخلق صور حديثة مبتكرة...

وأخيراً نقول: نسأل الله القدير أنَّ يتقبل هذا اليسير وما التوفيق إلاّ بالله البشير النذير...

المصادر والمراجع:

- **القُرآن الكَرِيم**

١- الأسس الجمالية في النَّقدُ العربي، د. عز الدين إسماعيل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.

٢- اصطياد غبار النجوم، ناتالي ستاركي، ترجمة، تهامة جلعود، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، القاهرة– مصر، ٢٠١٨م.

٣- الشاعر شيخنا عمر، .Facebook. Com.

٤- الشعر العربي المعاصر– قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين إسماعيل، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة– مصر، ١٩٦٧م.

٥- شعرية الحداثة، عبد العزيز إبراهيم، أتحاد الكتاب العرب، دمشق– سوريا، ٢٠٠٥م.

٦- شيخنا عمر– انتشل الشعر العربي من وحل النسيان، محمد الحمامصي، ٢٠١٧م. St, online. .Com, Google

٧- شيخنا عمر رائد موريتانيا إلى إمارة الشعر، إذاعة موريتانيا، Radiomauritanie, mr, Google.

٨- العرب في العصور القديمة، لطفي عبد الوهاب يحيى، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، القاهرة– مصر، ط٣، ١٩٧٩م.

٩- فن النكاح، السيوطي، تحقيق جورج كدر، دار أطلس، للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، ط١، ٢٠١١م.

١٠- قصيدة الشاعر شيخنا عمر وكالة أنباء الشعر Youtube alapn- comy.

١١- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، مكتبة النهضة، بغداد، العراق، ١٩٦٧م.

١٢- لغة الشعر بين جيلين، د. إبراهيم السامرائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ١٩٨٠م.

١٣- المعجم الوسيط، ابراهيم أنيس وآخرون، مكتبة الشروق، للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، ط٤، ٢٠٠٤م.

١٤- الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف محمد شفيق غربال، دار نهضة لبنان، بيروت- لبنان، ١٣٤٩هـ.

١٥- النَّقدُ والنظرية النتقدية، جرمي هوثورن، ترجمة، د. عبد الرحمن محمد رضا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م.